دور الإسلام في الكشف الجغرافي لأفريقيا

أ.د. عبد الأمير عباس الحيالي / كلية التربية – الاصمعي / جامعة ديالى

-المستخلص-

إن اصطلاح اكتشاف القارة الافريقيه يختص بالأوربيين أكثر من غيرهم ؛ فمفهوم الكشف والذي يعني الوصول الى مناطق جديدة ينطبق على الأوربيين ولا ينطبق على سكان افريقيا ؛ لان هذه القارة لم تكن مجهولة بالنسبة لسكان افريقيا سواء كانوا من العرب أم من الأفارقة ؛ ونما كانت مجهولة لسكان أوربا.وقد كان سكان الحوض الشرقي للبحر المتوسط أول من ساهموا في الكشف الجغرافي؛ اذ نشأت في منطقتهم أقدم الحضارات التي عرفتها الإنسانية والتي اعتمدت في بعض الأحيان على التجارة ؛ وفي البعض الأخر على الوافر الزراعي الموجود في بيئتهم ؛ وقد ذكرت العديد من النقوش المصرية القديمة وصفا للرحلات التي شقت طريقها من مصر الى الجنوب فإقليم الغابات بعد اختراقها للصحراء ؛ وإقليم السودان الشرقي ومن تلك الرحلات التي قام بها (خوف حور) في عهد الملك (مرن رع) وقد أشارت بعض الدراسات الأثرية الى ان المصريين ذهبوا الى السودان الغربي وكانت لهم علاقة ببعض سكان غانة .

إما بالنسبة لحضارة العراق القديمة فقد كانت التجارة الخارجية هي ايضا العامل الأساسي الذي دفع الحضارة السومرية للقيام برحلات بحرية الى الساحل الشرقي لإفريقيا ؛ وقد دلت العديد من التنقيبات الأثرية في شرق افريقيا على وجود تشابه في العديد من طراز البناء والعادات والتقاليد لدى السومريين والآشوريين ومنها استخدم رسم القرن للدلالة على القوة والسيطرة – لقد استمر الاتصال العربي بشرق أفريقا ينمو ويتسع قبل الاسلام؛ وكانت التجارة المحور الأساسي الذي قامت عليه تلك الاتصالات ؛ وقد ساعد على ذلك العوامل الجغرافية التي تمثلت في وجود البحار؛ وهبوب الرياح الموسمية التي سهلت انتقال السفن ما بين شبه الجزيرة العربية وبين الأجزاء الشرقية من افريقيا .

يعد الإسلام أول مؤثر حضاري يدخل الى القارة الأفريقية؛ وقد أدى ظهوره الى اتساع التواصل والتفاعل والاحتكاك ما بين سكان الجزيرة العربية وبين سكان أفريقيا ؛وبدأت تتجه أفواج من العرب الى أفريقيا لأسباب ودوافع عديدة منها نشر الإسلام والتوسع في التجارة ؛ وكانت من أولى نتائج الهجرات العربية الإسلامية تأسيس مراكز ومدن على طول الساحل الأفريقي والجزر المقابلة له ؛ وسرعان ما استطاعت هذا المدن والمراكز العربية الاسلامية ان تفرض سيطرتها على المنطقة ؛ وكان للعرب والإسلام دورا واضحا في التأثير على بلاد افريقيا وسكانها ؛ إذ بفضلهم تجمع السكان على أسس منظمة؛ وظهرت في افريقيا الكيانات السياسية

المستقلة ؛ وارتبطت افريقيا بالوطن العربي على كافة المستويات الثقافية والتجارية واستمر هذا الترابط حتى القرن (٩هـ/١٥م) حيث دخول الاستعمار الاسباني والبرتغالي الى شرق افريقيا . لم يعرف الأوربيين مجاهل افريقيا ؛ الا في اعقاب حركة الكشوف البحرية في اواخر القرن (١٥م) وكانت اسبانيا والبرتغال الدولتان الأوربيتان الأقرب الى الساحل العربي في شمال افريقيا ؛ شعرت بالأهمية الجيوستراتيجية لقارة افريقيا ؛ وكانت هنالك جملة اهداف تقف خلف السبق الاييبري في مجال الكشف الجغرافي في افريقيا ومن أهمها الهدف الديني والاقتصادي.

المقدمة :-

ان اصطلاح اكتشاف القارة الأفريقية يختص بالاوربين أكثر من غيرهم ، فمفهوم الكشف والذي يعني الوصول الى مناطق جديدة ينطبق على الأوربيين ولا ينطبق على سكان افريقيا ، لان هذه القارة لم تكن مجهولة بالنسبة لسكان افريقيا سواء كانوا من العرب او كانوا من الأفارقة ، وإنما كانت مجهولة لسكان اوربا .ولم يعرف الأوربيين مجاهل أفريقيا الا في اعقاب حركة الكشوف البحرية في اواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر ، وكان الأوربيين يسمون القارة الافريقية بـــ (القارة المظلمة) حتى بداية العصور الحديثة ، وذلك لجهلهم عن احوالها وطبيعتها وكانوا يعللون تخلفهم عن كشف القارة هو عدم الترابط بين اجزاء القارة ، وظروفها المناخية ،والتضاريس الوعرة ،والغابات الاستوائية الكثيفة ، مما لا يساعد على وجود الطرق ومسالك يستطيع الانسان سلوكها والعودة منها ، وعدم صلاحية الانهار لسير السفن لمسافات طويلة لكثرة الجنادل والسدود والشلالات في مجاريها ، وعدم وجود البحار الداخلية .

بالرغم من وجود هذه المعوقات فالقارة الافريقية مهمة بالنسبة للوطن العربي قديما وحديثاً ، فقد ارتبط الوطن العربي بالقارة الافريقية بقسميها شمال الصحراء وجنوبها في عصور مختلفة من التاريخ ، كما امتزجت الحضارة العربية بحضارات الشعوب الافريقية ، ويعد الإسلام أول مؤثر حضاري يدخل الى القارة ، ومن الواضح ان كثرة أسفار العرب نحو أفريقيا من اجل التجارة ، او الهجرة من اجل الاستقرار طلباً للثروة او التحصيل مكتسبات مادية او معنوية إضافة إلى حبهم الى الاستمرار في عملياتهم الجهادية في سبيل الله تعالى من اجل نشر الإسلام . كل ذلك

دفع أعداد كبيرة من المسلمين إلى دخول أفريقيا من اجل معرفة أغوارها والتعرف على أهلها ، خاصة ان قارة أفريقيا مجاورة لبلادهم وقريبة من خطوط مواصلاتهم ، وفي جوار مكاني دائم والعرب والزنوج هم اقرب الى التضامن والتفاهم بحكم التخوم الجغرافية وكثرة وقدم الاختلاط المتبادل وان جزء كبير من الوطن العربي يقع في القارة الافريقية ولبيان دور الإسلام في الكشف الجغرافي لقارة أفريقيا ، سيتناول البحث ثلاث مباحث يتضمن المبحث الأول الحضارات القديمة ومجال الكشف الجغرافي لأفريقيا ، أما المبحث الثاني فيتحدث عن دور الإسلام في الكشف الجغرافي لقارة أفريقيا ، أما المبحث الثالث والأخير سيعرض دور الأوربيين في كشف القارة الافريقية .

المبحث الأول :- الحضارات القديمة ومجال الكشف الجغرافي لأفريقيا

التفكير الجغرافي قديم قدم الإنسانية ذاتها ، اذ ان المجهودات الأولى التي قام بها المفكرون من اجل تفهم الظاهرات الطبيعية المحلية المحيطة بهم ، وتفهم مركز الإنسان بين هذه الظاهرات يعد المنشأ الاول للجغرافيا . وقد كان سكان الحوض الشرقي للبحر المتوسط اول من ساهموا في نمو المعرفة الجغرافية ، اذ نشأت في منطقتهم اقدم الحضارات التي عرفتها الإنسانية والتي اعتمدت في بعض الاحيان على التجارة ، وفي البعض الاخر على الوافر الزراعي الموجود في بيئتهم[١] . اذ ان الحضارات القديمة استغلت موقعها الجغرافي المتوسط بين دول العالم الاخرى المعروفة في ذلك الوقت وازدهرت عن طريق الاتصال التجاري والاحتكاك الثقافي بغيرها من الحضارات الأخرى ، وعلى الرغم من ان حوض البحر المتوسط كان هو المدرسة الاولى التي تعلم الإنسان فيها فنون الملاحة ، الا ان الاتصال البحري لم يكن سهلاً ميسورا في بادئ الامر ، اذ ان فنون الملاحة كانت ما تزال في دور النشأة الأولى ، وقد حاول المصريون والبابليون في عصور ما قبل التاريخ تحديد بعض الأماكن على سطح الارض بالنسبة لحركة الشمس والنجوم[٢] .

ويبدو الاتصال بين الحضارتين المصرية والبابلية قديم ، اذ تشير الاثار المصرية القديمة منذ عصر الآسرات الى ان الفراعنة كانوا على معرفة بالدول المحيطة بهم في شمال افريقيا والساحل الأفريقي وغرب اسيا ، وان المصريين القدماء كانوا على اتصال بعدد من الممالك في جنوب مصر ومنها بلاد بونت (punt) ولا يعرف بالضبط الموقع الجغرافي لهذه البلاد ، ولكن الكتابات التاريخية يبدو انها كانت تشمل الأراضي التي تقع على الساحل الجنوبي للبحر الاحمر والتي تعرف الان باسم الصومال واريتريا وربما اشتملت على عدن واليمن[٣] . ويذهب بعض الكتاب الى القول بأنه وعلى الرغم من ان هذه البلاد كانت متاخمة لمنابع النيل واراضي الحبشة ، الا انه ليس من المحتمل ان يكون المصريون القدماء عرفوا روافد النيل في الحبشة ، اذا انهم استخدموا طريق البحر الاحمر للوصول الى بلاد بونت ، اما بلاد كوش فقد احتلها المصريون خلال فترة حكم الاسرة الثالثة وتشمل بلاد النوبة غير ان مدى واتساع وأهمية هذه المملكة قد اختلف على مدى الزمن تبعاً

للدول الحاكمة . وقد وصل المصريون الى بلاد "يام " (Yam) ويذكر المؤرخون انها كانت تقع غرب النيل، وأنها تكون الجزء الغربي من أرض كوش التي تشغلها في الوقت الحاضر أراضي كردفان ودارفور ، وكانت هناك تجارة رائجة بين هذه المملكة ومصر وان أهم عناصرها الرقيق والعاج والصمغ ، ومن تلك المناطق أحضر (حرخوف) وزير بيبي الثاني عدداً من التحف النفيسة والتي كانت من بينها القزم الذي سَر برؤيته كثيراً لانهُ أدخل السرور الى قلبه برقصهُ الجميل ، ويذكر بعض الكتاب أن منطقة الاقزام في العصر الفرعوني كانت تمتد الى شمال بحر الغزال واعالي النيل ، كما كانوا على معرفه بمجرى النيل حتى التقاءه مع السوباط [٤].

وقد ذكرت العديد من النقوش المصرية القديمه وصفاً للرحلات التي شقت طريقها من مصر الى الجنوب فأقليم الغابات بعد أختراقها للصحراء ، وأقليم السودان الشرقي ، ومن بين تلك الرحلات التي قام بها (خوف حور) في عهد الملك (مرن رع) وهي رحلتهُ الخامسة التي خرجت من مصر براً في الصيف ووصلت بعد أسبوعين الى بلاد (أليام) ثم خرج منها متجهاً نحو الجنوب وسط منطقه ذات أشجار قصيرة وأحراش ثم أخذت الأشجار تقل تدريجياً حتى غدت الاراضي صخوراً تتخللها دروب ومسالك وأستغرق اجتياز هذهِ المنطقة أسبوعاً ـ ولم يقف نشاط المصريين القدماء بالذهاب الى بلاد السودان الشرقي فحسب ، بل وقد أشارت بعض الدراسات الاثريه الى أن المصريين ذهبوا الى السودان الغربي وكانت لهم علاقة ببعض سكان غانه [٥]. أما بالنسبة للعراق فقد كانت التجارة الخارجية هي أيضاً العامل الأساسي الذي دفع الحضارة السومرية للتقدم ،فخصوبة التربة ووفرة المياه منحت أهل العراق فائض زراعي مكنهم من استخدامه كعنصر أساسي في تجارتهم كما منحتهم في نفس الوقت فرصه للتخَصص في عدد من الحرف ، غير أنهم لا يملكون المواد الخام اللازمة للإنتاج أي صناعه ، ومن ثم كان عليهم استيراد الأحجار والأخشاب والذهب من البلاد الأخرى في مقابل منتجاتهم ، لذلك نجد اتصالات خارجية عديدة بين العراق وشرقي أفريقيا في عهد سرجون الأكدي الذي حكم العراق حوالي سنة (١٧٠٩)ق.م حيث كشفت الحفريات عن نقوش سومريه وبابليه في الساحل الشرقي لأفريقيا ،تشير الى وصول شعب وادي الرافدين إلى هذهِ المنطقة [٦]. فحضارة العراق غنية عن التعريف والعراقيون القدامى عرفوا صناعة السفن وقاموا برحلات بحريه كثيرة عبر الخليج العربي فجنوب شرق أسيا والساحل الشرقي لأفريقيا ، وقد دلت العديد من التنقيبات الأثرية في شرق أفريقيا على وجود تشابه في العديد من طراز البناء والعادات والتقاليد وبعض المعتقدات مع ما كان من عادات وتقاليد لدى السومريين والأشوريين ومنها استخدام رسم القرن للدلالة على القوه والسيطرة ، وهذهِ العادة لا تزال تستخدم على ساحل افريقيا الشرقي حتى اليوم لدى بعض الجماعات[٧] .

وقد نشط الاتصال العربي بشرق افريقيا في زمن دولة معين في اليمن(١٣٠٠ – ٦٥٠ ق.م) وتوارثتها دولة سبأ من حوالي (٩٥٠ – ١١٥ ق.م) ثم دولة حمير حوالي (١١٥-٥٢٥ م)[٨] . لهذا شهدت افريقيا اتصالاً بالعرب عن طريق المحيط الهندي ، وكانت الاتصالات مع الحضارمة واليمنيين وشرق أفريقيا من ناحية ، وبين سكان الخليج العربي (البحرانيين والعمانيين) والساحل الإفريقي الشرقي أيضاً من ناحية اخرى ، وفي القرن السادس قبل الميلاد هاجر السبأيون إلى القرن الأفريقي ، واستقروا في اريتريا والحبشة التي سميت باسم تعزيه ، كما استقر الاوسانيون في أزانيا التي يعتقد بأنها الأرض المقابلة لجزيرة بمبا وزنجبار ، كما يعتقد ان الاوسانيين بعدها توغلوا نحو الجنوب وفي عمق افريقيا ، علماً ان موطنهم الاول كان في جنوب الجزيرة العربية ، وقد كانوا في اوج ازدهارهم في القرن (٧ ق.م) قبل هجرتهم الى ساحل افريقيا الشرقي[٩] .

وقد أشارت بعض النقوش الحجرية المكتشفة إلى ان قبائل سبئية وحميرية هاجرت من اليمن وعبرت البحر الأحمر عن طريق مضيق باب المندب وجزر دهلق وكانت جهتها مرتفعات اريتريا والحبشة ؛ وعلى رأس القبائل النازحة من جنوب الجزيرة العربية وأقدمها قبيلة (الاجاغز) وهم جماعة قبلية يمنية هاجرت الى الأقسام الجنوبية من مرتفعات اريتريا اليوم؛ ومنها انتشرت لغتها الجعزية وهي لغة مكتوبة [١٠]. أما السبأيين فقد كانوا متقدمين حضاريا عدة قرون على سكان ساحل افريقيا الشرقي؛ ولذلك عندما هاجروا الى هناك نقلوا الى تلك المنطقة مجموعة النظم الحضارية المتقدمة إضافة الى نقلهم اللغة الى ساحل افريقيا الشرقي؛ والخبرة البحرية المتطورة وما رافقها من خبرة في الفلك والطقس ؛ ومعرفة مواعيد هبوب الرياح الموسمية ؛ كذلك نقلوا المهارات الزراعية والأساليب المتطورة للتحكم بمياه الإمطار والسيول عن طريق إنشاء المدرجات والمسطحات على سفوح الجبال وزراعتها وبناء السدود[١١] .

لقد كان للسبأبين والحضارة اليمنية القديمة أثارها الواضحة على حضارة شرق افريقيا ؛ فلم ينتهي القرن الرابع عشر الميلادي حتى كانت هضبة اريتريا وإقليم تيعزة الحبشي والساحل الأفريقي الشرقي عموما قد وصل الى درجة متقدمة في مضمار الحضارة آنذاك ؛ وظهر في تلك المنطقة شعب متحضر عرف فيما بعد بالشعب الحبشي ؛ الذي هو نتيجة تفاعل وانصهار القبائل السبئية والقبائل الحامية التي شُكلت فيما بعد دولة اكسوم التي اقترن اسمها بدولة سبا والتي استمرت تحكم المنطقة لفترة طويلة حتى ظهرت في إعقابها مملكة إثيوبيا [١٢]. اما الأسباب التي دفعت بالعرب القدامى الى الهجرة الى ساحل افريقيا الشرقي فقد نسبها البعض الى عوامل تجارية من اجل الحصول على الخيرات الكثيرة في شرق افريقيا ؛ وهناك من يرى با نه من اهم الاسباب لتلك الهجرة ما حدث من تدهور لحالة الامن في أعقاب تصدع سد مأرب وانهياره وتحول مساحات واسعة من الأراضي الزراعية الى

خراب؛ مما دفع بالكثيرين من السكان الى الهجرة الى مناطق مختلفة ومنها ساحل افريقيا الشرقي(١٣) .

لقد استمر الاتصال العربي بشرق افريقيا ينمو ويتسع قبل الاسلام فلم يشمل اليمن فقط ؛ بل وحتى العديد من دول الخليج العربي والعراق وكانت التجارة المحور الأساسي الذي قامت عليه تلك الاتصالات؛ وقد ساعدت على ذلك العوامل الجغرافية ومنها الرياح الموسمية التي كانت تهب على منطقة المحيط الهندي والتي تمكن السفن الشراعية الصغيرة من القيام برحلتين منتظمتين في السنة وبأقل مجهود ؛ ففي الخريف تندفع الرياح نحو الجنوب الغربي فتخرج من خليج عمان الى المحيط الهندي ثم تسير بموازاة الساحل الإفريقي ؛ وفي الربيع تندفع الرياح با تجاه شمال شرقي تمكن السفن من العودة الى قواعدها في سواحل شبه الجزيرة العربية ؛ ومنها سفن الخليج العربي والعراق التي كانت تخرج من الخليج العربي الى المحيط الهندي لتسير بوساطة تلك الرياح الموسمية الى شرق افريقيا (١٤).

المبحث الثاني: دور الاسلام في الكشف الجغرافي لأفريقيا

لقد كان الاتصال قائما ومستمرا بين عرب الجزيرة العربية وخليجها وبين الساحل الشرقي الأفريقي منذ عهد موغل في القدم حيث يصل البحارة والتجار العرب ويقيمون مراكز للتجارة ؛ ويتاجرون ويتزاوجون من القبائل الأفريقية؛ ويقيم بعضهم على الساحل ؛ وقد كان هناك ما يساعد على سهولة هذا الاتصال ؛ منذ عرف الإنسان ركوب البحر منذ فترة قديمة سبقت الميلاد ؛ كما وجدت ظواهر طبيعية سمحت بهذا الاتصال تمثلت في وجود البحار ؛ وهبوب الرياح الموسمية على هذا الجزء من العالم والتي سهلت انتقال السفن ما بين شبه جزيرة العرب وبين الأجزاء

الشرقية من افريقيا [١٥]. وقد اشار المؤرخ الإغريقي (بييربلوس) صاحب كتاب الكشاف البحري في القرن الاول الميلادي الى هذا الاتصال حينما كتب يعجب بكثرة السفن العربية على الساحل الشرقي الأفريقي ويشيد بقدرة العرب العيش مع السكان الأصليين ؛ كما اشار المستشرق الأوربي المعروف بازيل دافيدسون الذي قال ((كان أقدم من قدم هذا الشاطئ الشرقي من افريقيا للتجارة حيناً والاستيطان حيناً أخرهم الأمراء التجار من جنوب الجزيرة العربية)) [١٦].

وعندما ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية ؛ دخل الى أفريقيا حيث كانت الدعوة الإسلامية في مستهل طورها المكي يوم كان المسلمون الأوائل يكتمون إسلامهم خشية التعرض لأنواع التعذيب ؛ ولما زاد عدد المسلمين أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم محمد (ص)يدعو الناس علنا بقوله تعالى (وانذر عشيرتك الأقربين) وبذلك أصبحت الدعوة الاسلامية علنية ؛ فبدا الرسول بتنفيذ امر ربه ؛ قاوم مشركوا قريش دعوة الرسول العلنية مقاومة شديدة ؛ لما رأى الرسول (ص) ازدياد أذى المشركين لا صحابه ؛ وعدم قدرته على حمايتهم خشى عليهم ؛ فا اختار لهم بلدا يا منون فيه على أنفسهم من ظلم المشركين ؛ فأشار أليهم بالهجرة الى الحبشة وقال لهم ((لو خرجتم إلى ارض الحبشة فان فيها ملكا لا يظلم عنده احد وهي ارض صدق يجعل الله لكم مخرجا مما انتم فيه))فخرج المسلمون من أصحاب رسول الله الى الحبشة مخافة الفتنة وفرارا الى الله بد ينهم فكانت اول هجرة في الأسلام [١٧]. ولما علمت قريش بهذه الهجرة اجتمعوا على ان يبعثوا الى النجاشي ليخرج المسلمين من بلاده فبعثوا عمر بن العاص وعبد الله بن ربيعة فجمعوا له الهداية ولبطارقته ؛ وعلى الرغم مما قدمه سفيرا قريش له ولقوات دولته من هدايا ثمينة رفض النجاشي تسليم المسلمين لقريش ؛ بل ان النجاشي امر برد هدايا قريش وهذا في العرف الدبلوماسي يعني رفض السفارة وعدم الاستجابة لمطالبهم ؛ وبفضل تلك المنزلة لم ينزل المسلمون بلاد الحبشة منزلة ارض الجهاد وصارت علاقتهم بها يغلب عليها طابع السلم . إذاً الحبشة هي مركز الاتصال الأول بين المسلمين والأفارقة ؛ ومن الطبيعي ان يتأثر الأحباش بالمسلمين وان يتعرفوا على اقل تقدير على الإسلام من أولئك المهاجرين، ثم جاء الاتصال الثاني بأفريقيا في عهد الرسول (ص) نظرياً عندما بدأ الرسول محمد (ص) قبل وفاته سنة (١١هجرية) يرسل الى حكام وملوك عصره من اجل تبليغهم الاسلام وتعريفهم بنبوته [١٨].

وقد أدى ظهور الإسلام إلى اتساع التواصل والتفاعل والاحتكاك بين سكان الجزيرة العربية وبين الساحل الشرقي لأفريقيا ؛ وشهدت سواحل شرق أفريقيا هجرات عربية واسعة ؛ إذا بدأت تتجه أمواج جديدة من العرب لأسباب ودوافع عديدة ؛ منها نشر الإسلام والتوسع في التجارة ؛ أو البحث عن الرفاه ؛ وفي مرحلة متقدمة ؛ وبعد اضطراب الحال بسبب الخلافات التي نشاه بين الأمويين والعباسيين ؛ وخصومهم ومنافسيهم وما شابه ذلك؛فان الكثير من العرب المسلمين لاذوا بأنفسهم وأفكارهم السياسية المناهضة لنظم الحكم القائمة آنذاك [١٩] . لقد كانت أولى نتائج

الهجرات العربية الاسلامية إلى ساحل شرق افريقيا تأسيس مراكز ومدن على طول الساحل وفي الجزر المقابلة له وبالداخل أيضا ؛ وسرعان ما استطاعت هذه المدن والمراكز العربية والإسلامية أن تفرض سيطرتها على المنطقة ؛ وان تحقق نجاحا وازدهارا كبيرين ؛ إذا كانت على جانب كبير من التنظيم والاستقرار وساهمت في الانتعاش الاقتصادي والحضاري لتلك المنطقة وأهمها (مقديشو- باتسا- زنجبار- مومباسا- مالديني) كما أنهم نزلوا بجزر المحيط الهندي بما فيها (مدغشقر- جزر القمر- موريشيوس) بل ان العرب توغلوا في العمق نحو قلب القارة من أوغندا ورواندا وبورندي مرورا بتنجانيقا (تنزانيا) حتى الزامبيزي حيث زامبيا وزيمبابوي [٢٠] . ولقد كانت من نتائج الهجرة العربية الاسلامية الى ساحل افريقيا الشرقي ايضا (اللغة السواحلية) حيث ظهرت هذه اللغة في القرن الثامن الميلادي وتمركزت في شرق افريقيا وبعض جزر المحيط المجاورة واتسعت دائرة اللغة السواحلية فشملت أجزاء من وسط افريقيا [٢١] .

١- اثر الاسلام في تطوير الفكر الجغرافي:-

الفتح هو نشر الإسلام في الأصقاع الأخرى غير المسلمة ؛ ولان الدين الإسلامي كان في ذلك العهد دينا أحدث اختلالاً في موازين القوى السائدة والأعراف التي اجتمع عليها العرب وغير العرب والتقاليد التي ألفوها ؛ فقد حورب في بداية الأمر؛ ولكن بعد أن اتضحت قيمة وأرائه في حياة الناس واندفاع جموع الفقراء نحوه ونصر الله له ؛ بدأ ينتشر في ربوع العالم عن طريق الفتح الإسلامي ؛ ولكي يكتمل فضل الله على الناس بهذا الدين الجديد فقد حمله العرب المسلمون نحو افريقيا [٢٢]. ولم ينتهي القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد ألا وكان معظم قبائل الجزيرة قد أعلنت إسلامها وظهر بينها تعاون كبير حتى تمكنت من بسط سيطرتها على معظم الصحراء؛ وقد اتحد الإسلام مع سكان الشمال الأفريقي والصحراء بفضل الانتصارات التي حققها الفاتحون ؛ وكان اتحاداً قويا بدأ وكأن الإسلام وليد تلك المنطقة ؛ والذي حدث كما ذكر المؤرخ الفرنسي فوتيه ((ثورة عارمة إذا تخطت البلاد ذات الحاجز الفاصل بين الغرب والشرق والذي صعب اجتيازه في بلدان أخرى؛ أنها قفزه في المجهول)) [٢٣].

ويذكر ان عقبة بن نافع وموسى بن نصير لم يتمكنا بإمكانيتهما المحدودة من الوصول الى بلاد غانة ؛ وانما كان قد أرسلا بعضا من قواتهما العسكرية الى هناك لاستطلاع أخبار المنطقة ؛ وانه بفضل تلك الحملات الاستطلاعية وما أعقبها من دخول التجار المسلمين الى هناك فقد تعرف سكان غانة على الاسلام واقبلوا عليه ؛ ونظرا لعدم وجود المواقع العسكرية والاجتماعية فقد استقر بعض افراد تلك الحملات العسكرية مع عوائلهم في غانه رغبة منهم في نشر الاسلام والحصول على الكسب التجاري الحلال [٢٤].

كان لعمليات الفتح الإسلامي التي قام بها المسلمون أثرها الواضح في تطوير المعرفة الجغرافية عندهم حيث أتاحت لهم المجال لمعرفة أوضاع البلدان المجاورة

والاطلاع على كل ما يتعلق بالحياة الحضارة والماضية لهذه البلدان ؛ فضلا عن أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ؛ وسلوك سكانها وعاداتهم وأعرافهم وقيمهم وأديانهم ؛ إضافة الى عوامل الوحدة السياسية والمواطنة الاسلامية وانتشار الأمن ساهم الى حد كبير في إتاحة حرية الانتقال بين ربوع الدولة الاسلامية ؛ الأمر الذي نشاء عنه اتساع النشاط التجاري وازدياد حركته ؛ لان المسلمين كانوا قد فرضوا السيطرة على كل ما من شانه تعكير الامن وبذلك أصبحت الأقاليم الجديدة كنوزاً وغرائب للجغرافيين والباحثين العرب خصوصا من اقاليم كثيرة وكانت تختلف ؛ اختلافا كبيرا في مناخها وطبيعتها وناسها ؛ مما كان له الأثر في ان يكون هذا الاختلاف مادة ثرية للفكر الجغرافي العربي المسلم [٢٥]

٢-اثر التجارة:-

لم يكن العرب امة مغلوقة على نفسها؛ بل كانوا أمة محبة للتطلع تواقة للتوصل الى حقائق المعارف المختلفة ؛ الأمر الذي ولد عندهم شعورا بالفخر فيما بعد في تفوقهم التجاري تحقيقا لمتطلباتهم ؛ وقد وضع الإسلام أوصولا أخلاقية لعملية التجارة لتحافظ على الوشائج الأخوية التي تربط بين الناس ؛ فقد أمر الإسلام بالصدق والأمانة في البيع ؛ كما حث الاسلام التجار الى رخص الأسعار للتيسير على الناس بعد ان شجع الجالب وحارب المحتكر؛ وكان على التاجر في بيعه وشرائه كله ان يذكر الله ؛ ولذلك فا لهدف العام من التجارة ليس لتحقيق المصالح الشخصية فحسب وإنما لإقامة المصالح الشرعية وتحقيق المصالح العامة للمجموع [٢٦]. وقد حصل هذا الأمر بالنسبة للتجارة مع الأفارقة الزنوج؛ وقد وجدنا دائما ان الإسلام في السودان الغربي يتتبع خطوط التجارة ؛ وقد شكلت الجماعات التجارية في السودان الغربي مثل (السنونكا) في غانة مستوطنات تجارية وكانت هذه المستوطنات تتضمن دائما العلماء المسلمين حتى انه حصل نوع من التوافق الغريب الى درجة الاتحاد بين مهنة التجارة؛ ومهنة الداعية الى الله ؛ وفي مناطق كثيرة كان تعبير التاجر والمسلم مترادفين [٢٧].

أن أولى تيارات اعتناق الإسلام في أفريقيا (السودان الغربي) كان لها أسس تجارية حيث كان الملح يعوض بالذهب ؛ ولذلك فهذه التجارة المربحة كانت تغري الكثير من المسلمين للقيام بصفقات تجارية مع السوننك في غانه ؛ ولما كان الاسلام قد شجع التجارة وحث عليها وأكد على ربحها الحلال ؛ لذلك فلا يمنع ان يقوم بهذه الصفقات العديد من رجال الدين ممن عرفوا بالدين والتقوى ؛ وكانوا أثناء وجودهم في بلاد غانة ينشرون الإسلام الى جانب قيامهم بالتجارة ؛ ومن المؤكد فان العديد من أولئك التجار استقروا في المراكز التجارية في بلاد السودان الغربي كوكلاء محليين ولم ينتهي القرن الخامس للهجرة حتى كان الإسلام قد عُرف بشكل واضح لدى السوننك[٢٨].

كل ذلك يدل ان للعرب تجارة رائجة مع الكثير من الأقوام والأمم الأمر الذي أمدهم بمعلومات جغرافية ، وخاصة ان الاسلام اتبع في انتشاره خطوط التجارة ، وانه حينما توجد مراكز تجارية يوجد الإسلام ، ولذلك فان الطرق والمسالك التي نفذ منها الاسلام الى أفريقيا جنوب الصحراء ، هي ذاتها الطرق التي سلكها التجار عبر الصحراء الكبرى ، ويتمثل احدها من جهة المغرب حتى التقوس الشمالي الأكبر لحوض نهر النيجر والأقاليم الواقعة الى الغرب منه ، ومسلك وسطي من تونس حتى المنطقة الواقعة بين حوض نهر النيجر وبحيرة تشاد ومسلك أخر في الشرق من اليمن والى القرن الأفريقي [٢٩] .

أما تحديد مسار الطرق التي كانت تصل الى بلاد السودان الكبرى بشمال أفريقيا ومصر ومنها الى بقية أنحاء العالم الإسلامي فيمكن إيجازه بمايأتي :-

-طريق يمر من غربي صعيد مصر حتى ولاته في الغرب مخترقاً مالي وغانة ويمر في يغاو وتمبكتو وهذا الطريق طويل ولكنه مأمون .

-طريق شمال افريقيا عبر الصحراء وبرقة وطرابلس فتونس والمغرب فبلاد السوس الأقصى ثم من هناك الى خصب نهر السنغال .

-الطريق من المغرب الاوسط حتى مالي .

-الطريق بين سجلماسه وبلاد السودان الغربي ويمر هذا الطريق في باغمات ثم الى وادي درعه فاودغست .

-طريق شرقي يصل اليمن بشرق افريقيا فمدن الساحل كباتا ولامو ومقاديشو ومن هنا يتفرع عدة فروع للوصول الى داخل افريقيا الشرقية[٣٠] .

ومن خلال ذلك يتضح ان للعرب والاسلام دورا واضحا في التأثير على بلاد أفريقيا وسكانها ؛ إذ بفضلهم تجمع السكان على أسس منظمة ؛ وظهرت في المنطقة الكيانات السياسية المستقلة ؛ وبفضل الثقافة العربية الاسلامية تعلم الأفارقة ثقافة واضحة المعالم شملت المعارف الاسلامية العريقة الخاصة بمعرفة الإنسان بنفسه وربه وبالعالم اجمع وبالعلاقات الإنسانية وارتبطت إفريقيا بالوطن العربي على كافة المستويات الثقافية والتجارية ؛ وقد استمر ذلك الترابط المتين بين الوطن العربي وأفريقيا حتى دخول الاستعمار الاسباني والبرتغالي إلى شرق أفريقيا بعد القرن (٩هـ/١٥م) وتمكن من القضاء على العديد من مظاهر ارتباط دول ساحل شرق أفريقيا بالوطن العربي ؛ ثم ما أعقبه دخول الاستعمار الفرنسي ولانكليزي الى افريقيا جنوب الصحراء بعد القرن (١٣هـ/١٩م)الذي أدى إلى فصل العديد من الدول الإسلامية الافريقية عن الوطن العربي .

٣-افريقيا في مصادر الجغرافية العربية :-

تمثل الملاحظة الشخصية أهم مصدر من مصادر المعرفة الجغرافية الى جانب المصادر الأخرى؛ وتمثلت الملاحظة الشخصية بالرحلات التي قام بها الجغرافيون العرب المسلمون من هواة الرحلات ؛وأعضاء الوفود الرسمية ومحترفوا التجارة وكان لهم الفضل في اتساع معرفة الجغرافيين بإرجاء العالم المعروف ؛ إذ أضيفت الى خارطة العالم المعروف آنذاك جهات لم تكن معروفة من قبل غرب افريقيا ؛ وقد سلك الرحالة تلك المناطق والتي لم يسبق لها ان سلكها احد ؛ وكانوا دقيقين في وصفهم تلك المناطق الجغرافية ؛ وكانت الرحلة تمثل الوجه المشرق للجغرافية العربية ؛ وفي بطونها معين لا ينبض من المعلومات التاريخية والاقتصادية والبشرية والطبوغرافية عن قارة أفريقيا (٣٠).

حتى أن كبار الجغرافيين المسلمين اعتمدوا على الرحلة في جمع معلوماتهم او التأكد مما سمعوه أو تلقوه؛ وكانت تعد عندهم بمثابة الدراسة الميدانية في الدراسات الجغرافية ؛ و قد عرفوا العرب افريقيا منذ وقت مبكر؛ وقد حوت مصنفاتهم التاريخية والجغرافية مادة علمية موسعة عن افريقيا ؛ ابتدأ من القرن(٣هـ/٩م) ولذلك فقد كانت معلومات العرب عن أفريقيا مادة أصيلة وجديدة؛ ومن الواضح فان كثرة أسفار العرب نحو افريقيا من اجل التجارة؛ او الهجرة من اجل الاستقرار طلبا للثروة او لتحصيل مكتسبات مادية او معنوية؛ إضافة الى حب المسلمين الى الاستمرار في عملياتهم الجهادية في سبيل الله تعالى من اجل نشر الإسلام ؛ كل ذلك دفع بإعداد كبيرة منهم الى دخول افريقيا من اجل معرفه أغوارها والتعرف على أهلها؛ خاصة وان قارة افريقيا مجاورة لبلادهم وقريبة من خطوط مواصلاتهم (٣٢). ومن الواضح أن الجغرافيين العرب الذين عنوا بأفريقيا في القرنين الثامن والتاسع الميلادي كانوا من الرحالة العرب الذين سجلوا ما شاهده في أسفارهم في العالم ومنها تسجيلاتهم عن أفريقيا ؛ وتعد أقدم تلك التسجيلات ما دونَ عن بلاد السودان الغربي ؛ خاصة عن دولة غانه ذات الشهرة الكبيرة بالذهب؛ وقد كتب عن غانه الفيزاري الفلكي عند زيارته لغرب افريقيا خلال النصف الأول من القرن الثامن الميلادي؛ كما زارها (الخوارزمي) وبين موقعها على خريطته . كما تحدث اليعقوبي عن تلك الأرض أثناء مشاهدته لبلاد افريقيا حيث انه اطلع بنفسه على مناجم الذهب في غانة ؛ كما تحدث عن جاوا والتي شاهدها ايضا واعتبرها من اكبر ممالك السودان(٣٣).

وفي منتصف القرن(٣هـ/٩م) كتب ابن خرداذبة في المسالك والممالك حديثا عن افريقيا وخاصة عن بلاد الزنج؛ وفي القرن الرابع للهجرة العاشر للميلاد والذي يعد عصرا لازدهار الحضارة العربية الإسلامية؛ نجد إن الأدب الجغرافي العربي قد بلغ أوجهه ؛ وظهر فيه ما سمي بالمدرسة الكلاسيكية الجغرافية العربية؛حيث اهتم العديد من الكتاب والجغرافيين بالرحلة والتجوال من اجل وصف ما لم يكن وصفه

من ارض العالم الإسلامي وما جاوره؛ وكان من ضمن تلك التسجيلات الأساسية مادون عن غرب وشرق افريقيا[٣٤]. يعد كتاب المسالك والممالك الذي عرف باسم(صورة الأرض) لابن حوقل من الكتب المهمة عن شمال افريقيا وشرقها وخاصة منطقة الحبشة والنوبة ؛ والملاحظ ان ابن حوقل اهتم بشرق افريقيا وغربها ؛ فقد تحدث على بحر القلزم؛ وعن الممالك النصراوية في النوبة والحبشة ؛ وقد زار مدينة (كمبي صالح) عاصمة دولة غانة؛ كما شاهد نهر النيجر ووصفه لنا[٣٥].

وممن كتب عن افريقيا في القرن(٤هـ/١٠م) أبو زيد السيرافي؛ الذي ينسب الى سيراف التي تقع على الساحل الشرقي للخليج العربي؛ وقد كتب عن أخبار الزنج وبلادهم ؛ ومن بين الذين كتبوا في هذا القرن الاصطخري الذي عاش في النصف الأول من القرن (٤هـ/١٠م) اما ما دونه عن افريقيا جنوب الصحراء فقد جاء معظمها بالواسطة من أشخاص التقى بهم ودون عنهم ما شاهدوه [٣٦]. ويعد المسعودي من كبار المؤرخين والجغرافيين العرب في القرن(٤هـ/١٠م) وأشهر مؤلفاته الباقية (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وقد جاء في هذا الكتاب مادة جيدة عن ساحل افريقيا الشرقي ؛ فقد تحدث عن بحر الزنج (الجزء الغربي من المحيط الهندي) ووصفه بأنه من أكثر البحار خطورة وقد عبر المسعودي ذلك البحر ووصل الى ساحل شرق افريقيا ولكنه كما يبدو لم يتقدم نحو الداخل؛ ولذلك جاء معظم حديثه عن زنوج الساحل وعن علاقتهم بالعرب وعن تجارتهم [٣٧].

وفي القرن (٥هـ/١١م) كتب البيروني مادة عن النشاط التجاري الذي كان قائماً مع شرق افريقيا ؛ واكد على دور العرب التجاري هناك ؛ وممن كتب ايضا عن افريقيا في نفس هذا القرن الادريسي في كتابة (نزهة المشاق في اختراق الأفاق) وكانت مادته العلمية جيدة عن بعض مدن ساحل افريقيا الشرقي والجزر المجاورة ؛ ويمتاز الإدريسي عن غيره بأنه تحدث عن تجارة الحديد مع افريقيا [٣٨]. وذكر ان الزنوج يملكون مدينة(ماليدة) وان لهم مناجم للحديد ويتاجرون في المطلوع منه ويربحون منه أرباحا كبيرة ؛ كذلك تحدث عن افريقيا ولاسيما مدينة (غانة) التي أسهب في الحديث عنها ؛ وذكر بأن عاصمتها (كمبي) كانت اكبر سوق تجاري في السودان الغربي؛ وان التجار كانوا يجتمعون فيها من كل مكان كما ذكر الإدريسي بان المسلمين وبخاصة العرب منهم كانت لهم مراكز عليا في دولة غانة؛ وكان الوزراء والكتاب منهم ؛ كما تحدث عن دولة (مالي) الاسلامية واكد على دورها التجاري مع شمال افريقيا[٣٩].

وفي القرن(٧هـ/١٣م) يطالعنا ياقوت الحموي بمعجمه المعروف (معجم البلدان) بمادة طيبة عن بعض مناطق افريقيا جنوب الصحراء؛ وقد تناول في معجمه مادة تاريخية وجغرافية عن مدن شرق افريقيا(كمقديشو) و(كلوه) ؛ كذلك كتب عن (الشعب السواحلي) وسماهم بشعب البربر؛ كما تحدث عن غانة؛ ودولة مالي الاسلامية وعن نهر النيجر؛ وبعض أحوال السودان[٤٠]. وفي أواخر القرن(٧هـ/١٣م) كتب عن أفريقيا ايضا الجغرافي المعرف ابن سعيد المغربي الذي

تحدث بشكل خاص عن شرق افريقيا ومدنها وأهلها وسكانها [٤١]. أما أهم ما كتب عن بلاد افريقيا في القرن(٨هـ -١٤م) فهو ابن فضل الله العمري؛ مؤلف كتاب(مسالك الإبصار في ممالك الأمصار) وهذا الكتاب موسوعة كبيرة؛ تتألف من اثنا وثلاثون جزءاً وهو لا يزال مخطوطاً حتى اليوم ويحتوي على ستة عشر جزءاً مزدوجاً؛ وقد قسم العمري كتابه الى قسمين؛ خصص القسم الاول منها للأرض والأخر للسكان ؛ وقد جاءت التسمية مطابقة للمضمون ؛ فالقسم الاول جزءه إلى قسمين سماه في ذكر المسلك؛ اما الأخر فسماه في ذكر الممالك ؛ وفي القسم الثاني من هذا الكتاب ورد ذكر بلاد السودان الكبرى دولة بعد اخرى بشكل مفصل ؛ وتحدث عن دولة مالي الاسلامية؛ فذكر اهم المدن وطرق المواصلات[٤٢].

وفي نهاية القرن(٨هـ/١٤م) كتب الرحالة المشهور ابن بطوطة المتوفى (٧٧٩هـ/١٣٧٣م) في كتابه(تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) مادة جيدة ؛ حيث تحدث عن مشاهدته الشخصية ؛ وتعد كتابته معاصره؛ وهي بذلك ذات قيمة جغرافية وتاريخية ؛كذلك قد أفاض بالحديث عن شرق افريقيا ؛ حيث تحدث عن الأمارات الاسلامية هناك وعن علاقاتها بالوطن العربي؛ وقد ذكر العديد من النصوص التي تدل على تاثر تلك المناطق بالعرب والإسلام [٤٣].

المبحث الثالث:- دور الأوربيين في كشف القارة الافريقية:-

لم يعرف الأوربيين مجاهل افريقيا إلا في أعقاب حركة الكشوف البحرية في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر ؛ إلا إن هذا المنطقة لم تكن مجهولة بالنسبة لسكان افريقيا سواء كانوا من العرب أم من الأفارقة ؛ وإنما كانت مجهولة لسكان أوربا ؛ وعلى الرغم من إن قارة أفريقيا هي جزء من العالم القديم ؛ إلا أن كشفها والتعرف على الكثير من مناطقها من قبل الأوربيين جاء بصورة متأخرة لعدة عوامل منها :-

١- إن أوربا كانت تعيش فترة تخلف حضاري ؛ وتتكون من عدة دويلات وإقطاعيات؛ في حين كانت افريقيا واسيا ذات حضارة ودول وممالك متطورة.
٢- وجود التضاريس الصعبة والغابات الاستوائية الكثيفة مما لا يساعد على وجود طرق ومسالك.
٣- ان وجود الصحراء الكبرى في الشمال كانت حاجزا لم يألفه الأوربيون كبيئة صعبة.
٤- كانت الأمراض اكبر العقبات التي تقف في وجه المستكشفين .
٥- تمتاز السواحل الإفريقية باستقامتها وقلة الخلجان مما جعل ندره الموانئ الطبيعية الجيدة .
٦- كثرة الجنادل والشلالات في أنهارها جعلها غير صالحة لسير السفن لمسافات بعيدة[٤٣].

وبالرغم من هذه الصعوبات ففي عام (١٤١٥م) تمكن البرتغاليون من السيطرة على مدينة سبته المغربية ؛ إلا أنهم فشلوا في الاستيلاء على المغرب بكاملها ؛ واكد لهم هذا الفشل ان منطقة شمال افريقيا أصبحت منطقة عربية مغلقة بالنسبة للأوربيين ؛ وبالتالي يعني غلق هذه المنطقة الحيوية لأوربا ؛ حيث انها تمثل الجسر الذي تعبر منه تجارتها من والى الهند ؛ وكانت الدولتان الأوربيتان البرتغال واسبانيا الأقرب الى الساحل العربي في شمال افريقيا اول من شعرت بالأهمية الجيوستراتيجية لهذه المنطقة ، ولم يكن القرب الجغرافي هو السبب الوحيد لهذا السبق ، بل هناك جملة أسباب تقف خلف السبق الأيبيري في مجال الكشوف الجغرافية في افريقيا أهمها (٤٤) .

١- ان هاتين الدولتين ورثتا عن حروب الاسترداد سلطة مركزية قوية استطاعت توحيد البلاد .

٢- التطور الذي شهدته الملاحة الأيبيرية خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر .

٣- إن السبق الأيبيري يعود إلى استفادة البرتغال واسبانيا من التجارب الايطالية ومن خبرة الجالية الايطالية المقيمة بأهم موانئها .

٤- كانت للعلوم الجغرافية التي تركها العرب في البلاد التي اخرجوا منها دورا في توفير مقومات السفر البحري فخرائط الإدريسي ورحلات الرحالة العرب والوسائل العلمية المتقدمة في معرفة الطرق والاتجاهات التي وفرها الفكر الجغرافي العربي كانت دافعاً وراء حركة الكشوف الجغرافية .

٥- كان لتوزيع الرياح والتيارات البحرية بين درجات (٤١-٤٢-٣٥) شمال المغرب وجنوب البرتغال ، دوراً في ان تكون شبه جزيرة ابيريا ، نقطة انطلاق وعودة للسفن الذاهبة الى أمريكا او الى افريقيا (٤٥) .

إضافة الى العوامل التي تم ذكرها ، فان هناك أهداف رئيسة كانت تقف خلف عملية الكشف الجغرافي التي ابتدائها البرتغال واسبانيا ثم اتبعتها الدول الأوربية الأخرى منها :-

١- هدف ديني :

يعد الهدف الديني المحرك الأول للاكتشافات الجغرافية ، حيث أعلن الأمير هنري الملاح انه يهدف للوصول الى مملكة القديس يوحنا في شرق افريقيا ، وهي المملكة المسيحية التي كان الأوربيون يسمعون عن قوة حاكمها الذي يمكن الدخول معه في حلف ، ليكون قاعدة لنشر المسيحية (٤٦) .

٢- هدف اقتصادي :

يعد الهدف الاقتصادي احد الأهداف التي دفعت البرتغاليين لبذل الجهود المتواصلة من اجل الوصول الى افريقيا والبحث عن تجارة رابحة ، وقد افتتحت البرتغال عصر الكشوفات الجغرافية بان أوفدت الأمير هنري الملاح الى رحلة بحرية الى غرب افريقيا ، تم فيها الكشف عن جزيرة ماديرا وجزر اوزور وكيب فرد وجزيرة اراغون ، تم استطاع احد التجار البرتغاليين (فرناو جوميز) في سنة ١٤٦٩ ان يقنع ملك البرتغال بمنحة امتياز لمدة خمس سنوات تجارة ساحل غانة جنوب كيب فرد ، على شرط ان يقوم جوميز بالكشف عن (٤٠٠) ميل من السواحل سنوياً ، وقد مد هذا الامتياز بعد ذلك حتى سنة ١٤٧٥ م واستطاع في تلك السنة ان يصل الى جزيرة فرناندويو ، وان يعبر خط الاستواء ، كما لاحظ ان ساحل غانة غني برماد الذهب ورواسبه فأطلق على هذه الجزيرة من الساحل اسم المنجم ، وهو الذي أصبح ما يسمى فيما بعد ساحل الذهب [٤٧] .

وفي عام ١٤٨٧م أبحر (بارثو لوميودياز) من موانى البرتغال في المحيط الأطلسي وكشف رأس الرجاء الصالح ووصل الى خليج "الجوا" على الساحل الشرقي لأفريقيا دون ان يدرك انه كشف الطريق البحري الى الهند [٤٨].

أما (فاسكودي كاما) فقد نجح في عبور رأس الرجاء الصالح في عام ١٤٩٨م حيث انحرف الى الشمال محاذيا سواحل القارة الجنوبية الشرقية ؛ وفي نفس العام رسا دي كاما امام موزنبيق؛ ولما كان الهدف الرئيس من بعثه دي كاما هو الوصول الى الهند فقد طلب من حاكم موزنبيق ان يمده ببعض الربابنة والإدلاء العرب ممن لهم اتصال سابق بالهند ليصلوه الى كاليكوت ؛ فأرسل معه الحاكم اثنين من العرب ؛ وكادت بعثة فاسكو دي كاما تغادر موزنبيق حتى توترت العلاقة بينهما وبين أهالي البلاد حينما علم هولاء ان البرتغاليين من النصارى فبرزوا لهم العداء واضطر دي كاما ان يقلع بسفنه الى كالوه دون ان يتمكن من الرسو فيها فنصحه الدليلان بالتوجه الى ممباسة الا انه ابتعد عنها قاصدا مالندي التي رسا فيها ؛ وطلب من ملكها مرشد بحري فوافق ملكها على تزويد السفن البرتغالية بمرشد بحري يرشدها الى طريق الابحار نمو الهند وفي غضون أربعة أسابيع وصلت السفن البرتغالية الى الهند[٤٩].

أما اسبانيا فقد كانت في اوائل عهد الكشوف الجغرافية قد انصرفت الى تنفيذ مشاريعها الاستعمارية الكبرى في القارة الأمريكية ولكنها بمرور الزمن ضعفت هي الأخرى وانهارت وخسرت كل مستعمراتها هناك بسبب الثورات الأهلية ؛ كما خسرت جزر الفلبين وكوبا وبورتيركو اثناء حروبها مع الولايات المتحدة الامريكية عام ١٨٩٨م؛ ومن اجل ذالك اتجهت هي الأخرى الى افريقيا واستعمرت مناطق صغيرة اهمها (سبتة ومليلة وايفيني وغينيا الاستوائية وجزر الكناري-فرناندويو-رانوبون) وكلها شمال وغرب افريقيا [٥٠].

وما ان شهدت الدول الأوربية نجاحات البرتغال في هذا المجال حتى بدأت تندفع الواحدة تلوى الأخرى وتحذوا حذوها محاولة كسر الاحتكار البرتغالي والحصول

علـى نفـس الأربـاح والامتيـازات التـي تحصـل عليهـا ؛ وفـي نفـس الوقـت عجـزت البرتغال عن أبقاء الاحتكار لنفسها ولاستفادة من افريقيا لقلة عدد سكانها وعدم وجود صـناعة فيهـا .ومـن ابـرز الـدول المنافسـة هولنـدا ؛ حيـث كـان الهولنـديون يعملـون كوسـطاء لنقـل تجـارة البرتغـال الـى أوربـا ؛ ومـا ان رفضـت البرتغـال اسـتمرار الهولنديين القيام بهذا الدور؛ حتى أسست هولندا في عام ١٦٠٢ شركة الهند الشرقية الهولنديـة وانفـردت بالتجـارة دون البرتغـال وانتهـى الصـرع بـين هولنـدا والبرتغـال بإزاحـة البرتغـاليين مـن السـواحل الإفريقيـة فيمـا عـدى (انجـولا وموزنبيـق والـرأس الأخضر وغينا بيساو) [٥١].

إضـافة الـى هـذه الـدول دخلـت دول اخـرى فـي التنـافس الأوربـي علـى القـارة الأفريقيـة ؛ ولكـن بـالرغم مـن ذلـك استمر اهتمـام الأوربيين بالتجـارة السـاحلية فقط؛ ولكن بعد التطور الذي أصاب وسائل النقل ودخول القوى البخارية في النقل البحري وظهور أسلحة جديدة من شانها تامين حياة المستكشفين ؛ إضـافة الـى اكتشـاف وسـائل مكافحة الإمراض والوقاية منها أعطى للمستكشفين الدعم الكبير لاختـراق قلـب القـارة الإفريقية وخضوعها للسيطرة ولاستغلال ؛ فقامت العديد من الرحلات التـي ادت الـى كشـف المنـاطق الداخليـة مـن القـارة جـدول [١] .وقـد تـم تمويـل هـذه الاكتشـافات عـن طريق الجمعيات الاوربية التـي ترتبط مخططاتهـا بمصـالح الـدول التـي تنتمـي اليهـا ؛ وقد ادت الكشوفات الجغرافية الى الكثير من النتائج اهمها قيام تجارة العبيد ؛ وظهـور المنافسـة والتسـابق بـين الـدول الكبـرى الـى اسـتغلال القـارة الافريقيـة وتقسـيمها الـى مناطق نفوذ الدول الأوربية الاستعمارية .

جدول(١)

رحلات الكشوفات الجغرافية داخل افريقيا

ت	اسم المستكشف	المناطق المكتشفة	سنة الرحلة
١-	جيمس بروس	بدأ من مصوع الى تانا وسنار	١٧٧٩
٢-	منجو بارك	بدأ من مصب نهر الشمال الى أعالي نهر النيجر غرب باماكو	١٧٩٥
٣-	كايبة	بدا من سواحل غانة الى فاس في مراكش عبر تمبكتو	١٨٢٧
٤-	كلابرتون	بدا من مدينة طرابلس الى دلتا النيجر وبحيرة	١٧٣٤

		تشاد	
٥-	سبيك وجرانت	من زنجبار الى الخرطوم واكتشاف منابع النيل الاستوائية	١٨٤٢
٦-	سليم القبطان	بدا من الخرطوم الى اعالي بحر الجبل	١٨٤٩
٧-	بارت	من طرابلس الى تشاد وباجرمي وتمبكتو	١٨٥٠
٨-	لفنجستون	من موزنبيق الى لوندا في انكلولا	١٨٥٢
٩-	برتون وسبيك	من زنجبار الى بحيرة تنجانيقا	١٨٥٨
١٠-	شفانيفورت	من الخرطوم الى بحر الغزال وأعالي نهر الاويلي احد روافد الكونغو	١٨٧٠
١١-	ستانلي	من مصب الكونغو الى زنجبار	١٨٧٧
١٢-	دي برازا	من ساحل الغابون الى نهرالكونغو	١٨٨٠

المصدر: جمال على طه ،آليات التحول الديمقراطي في أفريقيا ؛ رسالة ماجستير ؛ جامعة بغداد ؛ كلية العلوم السياسية ؛ ٢٠٠٨. ص٤٩ " غير منشورة".

- Abstract -

The term " The discovery of Africa " is related to the European than others . The concept of discovery is applicable to European and is not applicable to African people since this continent was well- know to the African themselves but unknown to the other people to the east of the midditeranian sea were the first who participated in geographical discoveries. In their region , the most ancient civilizations were established which depended some times on trade and in other times , they depended on agriculture

The an cient Egyptian scripts in clued a description of the trips which found their way from Egypt to the south through the desert ,one of these trips was made by khof Hor during the veign of king (Mannra) . Some of the ancient studies proved that the Egyptian went to Sudan.

As for the ancient Iraqi As for the ancient Iraqi civilization , the outside trade was the basic factor which motivated the Sumerian civilization to make sea trips to the eastern coast of Africa. Several excavations in the cast of Africa proved that there is similarity in the patterns of building habits ,and tradition of the Sumerian and Assyrians Arab communication with the east of Africa went or growing and developing even before Islam and trade was the basic factor in the that regard the season winds facilitated the ships movement between the Arab Islam and the eastern parts of Africa .

Islam was considered as the first civilization effect which in flue need Africa . the emergence of Islam resulted in the expansion of communication between the Arab island people and the Africans . As a result wares of Arabs went to Africa for different reasons , some of them was to spread Islam and to expand trade . The first result of that Arab migrations was the establishment of eities a long the African coast and the opposite Island ,Those cities and Arab centers established their authority and power on the Arab region there. The Arabs and Islam had a great impact on Africa

and its people . by their help the population gathered systematically in Africa new in depended political entities appeared and Africa was joined with the Arab – homeland on all levels and that continned till then 15th century and the coming of the purtegees and Spanish invasion to the east of Africa.

The Europeans had no idea about the mysteries of Africa till sea discoveries movement which happened at the ends of the 15th century . Spain and purtgal were the two European states were . the rearest to the Arab coast in the north of Africa .

Those two states realized the geostrategic importance of Africa . There were a number of goals behind the Iberian priority in the arean of Geographic discovers in Africa and the most importan ones were the religion and the economic.

(قائمة الهوامش)

Peake(h) fleure; (h); times and places; 1956. p147 :1

ackerman; f; geog raphy as fundamental research; ٢ Chicago; : 1958. p14

٣) يسري الجوهري ؛ الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية ؛ منشاة المعارف ؛ الإسكندرية؛ ١٩٨٩ . ص٢٠

٤) المصدر نفسه ؛ ص٢٠

٥) يسري الجوهري ؛ شمال افريقيا ؛ الاسكندرية ؛ ١٩٧٦.ص٩٨

٦) صبري فارس الهيتي وآخرون؛ الفكر الجغرافي وطرق البحث ؛ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ؛ جامعة بغداد ؛ ١٩٨٥ . ص١٨

٧) شريف محمد شريف؛ تطور الفكر الجغرافي؛ ج١ ؛ القاهرة؛ ١٩٦٩.ص٢٩

٨) عبد السلام ابراهيم بغدادي؛ الجماعات العربية في أفريقيا ؛ مركز دراسات الوحدة العربية؛ بيروت؛ ٢٠٠٥.ص٩٢

٩) جواد علي؛ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ؛ بيروت؛ ١٩٦٩.ص٤٥

١٠) ممتاز العارف ؛ ارتيريا بين احتلالين ؛ بغداد؛١٩٧٩.ص١٣

١١) المصدر نفسه؛ ص١٠

١٢) ممتاز العارف؛ الأحباش مآرب واكسوم ؛ بيروت؛ ١٩٧٥.ص٧٤

١٣) عبد الله عبد العزيز؛ حول العلاقات العربية الافريقية؛ مجلة المؤرخ العربي ؛ العدد٢٩؛ ١٩٨٧. ص٧٧

١٤) جمال زكريا قاسم؛ الأصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ؛ القاهرة ، ١٩٧٥ . ص ٨ .

١٥) وفيق حسين الخشاب وإبراهيم المشهداني؛افريقيا جنوب الصحراء؛ مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ؛جامعة الموصل ؛١٩٧٨.ص٤٥

١٦) سيد احمد العراقي ؛ارض الزنج والاتصال بحضارات العالم الخارجي؛مجلة المؤرخ العربي ؛ اتحاد المؤرخين العرب؛العدد٣١؛ بغداد ؛ ١٩٨٧. ص٢٣

١٧) ابن هشام؛ السيرة النبوية؛ القسم الأول ؛ حققها مصطفى السقا واخرون ؛ تراث الاسلام ؛ (بلا تاريخ) .ص٣٢٢

١٨) يوسف فيصل حسن؛ الجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية ؛ مركز دراسات الوحدة العربية ؛ ط٢؛بيروت ، ١٩٨٧.ص٣٠

١٩) شوقي عطا الله وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم ؛ تاريخ المسلمين في افريقيا ومشكلاتهم ؛ دار الثقافة للنشر والتوزيع ؛ القاهرة؛ ١٩٦٦.ص٩.

٢٠) عبد السلام إبراهيم بغدادي ؛ مصدر سابق ؛ ص١٩.

٢١) يوسف فضل حسن ؛ مصدر سابق؛ ص٣٣.

٢٢) سعدون شلال ظاهر؛ اثر الاسلام في تطور الفكر الجغرافي الاسلامي؛ مجلة ديالى للبحوث العلمية والتربوية؛ العدد١٩؛ ٢٠٠٥.ص١٣.

٢٣) كراتشوفسكي؛ تاريخ الادب الجغرافي العربي ؛ ترجمة صلاح الدين عثمان ؛ موسكو؛ ١٩٥٧.ص٤٧.

٢٤) عبد الرحمن زكي؛ المسلمون في العالم اليوم (افريقيا الاسلامية) ؛ القاهرة؛ ١٩٥٨.ص٨.

٢٥) نعيم قداح وعمر الحكيم؛افريقيا الغربية في ظل الاسلام ؛ وزارة الثقافة والارشاد القومي؛ كوناكري؛ ١٩٦٠.ص٢٩.

٢٦) صبري محمد حسين ؛ الجغرافيون العرب ؛ مطبعة القضاء؛ النجف؛ ١٩٥٨.ص١٤.

٢٧) المقدسي؛ التقاسيم في معرفة الاقاليم ؛ مطبعة بريل؛ لندن ؛ ١٩٠٦.ص١٩.

٢٨) حسين احمد محمود ؛ انتشار الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ؛ القاهرة ؛ ١٩٥٧.ص٢١١.

٢٩) زاهر رياض؛ الممالك الاسلامية في غرب افريقيا واثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى؛ مكتبة الانجلو المصرية ؛ القاهرة؛ ١٩٦٨.ص٢٩.

٣٠) احمد شلبي؛ موسوعة التاريخ الإسلامي ؛ ج٦؛ مكتبة النهضة المصرية؛ القاهرة ، ١٩٦٠.ص١١٠ .

٣١) زكي محمد حسن؛ الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ؛ بيروت؛ ١٩٨١.ص٨.

٣٢) زاهر رياض؛ كشف القارة الافريقية؛ مكتبة الانجلو المصرية؛ القاهرة؛ ١٩٦٩.ص٣٠.

٣٣) ياسين ابراهيم علي الجعفري؛ اليعقوبي المؤرخ والجغرافي؛ منشورات وزارة الثقافة والإعلام؛ الجمهورية العراقية ؛ ١٩٨٠.ص٢١ .

٣٤) دريد عبد القادر نوري؛ تاريخ الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء ؛ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ؛ جامعة الموصل؛ ١٩٨٥.ص٥٢-٥٣

٣٥) ابن حوقل؛ كتاب صورة الارض ؛ بيروت: د/ت.ص١٩.

٣٦) دريد عبد القادر نوري؛ مصدر سابق؛ص٥٣.

٣٧) جمال زكريا قاسم؛ مصدر سابق ، ص ١٨ .

٣٨) دريد عبد القادر نوري؛ مصدر سابق؛ ص٥٧.

٣٩) احمد سوسة ؛ الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية؛ بغداد؛ ١٩٩٥.ص٢٦.

٤٠) صلاح الدين المنجد؛ أعلام التاريخ والجغرافية ؛ دار الكتاب الجديد؛ بيروت ؛ ١٩٦٣.ص٧٦.

٤١) محمد رشيد الفيل؛ اثر التجارة والرحلة في تطوير المعرفة الجغرافية عند العرب نشرة دورية ؛ العدد٩؛ الكويت ؛ ١٩٧٩.ص٣١.

٤٢) نقولا زيادة؛ الجغرافية والرحلات عند العرب ؛ دار الكتاب؛ بيروت؛ ١٩٦٢؛ ص٦٠.

٤٣) احمد نجم الدين فليجة؛ افريقيا دراسة عامة واقليمية؛ مؤسسة شباب الجامعة؛ مصر؛ ١٩٧٨.ص٥٢.

٤٤) جمال طه علي؛ آليات التحويل الديمقراطي في افريقيا نيجيريا انموذجاً؛ رسالة ماجستير؛ جامعة بغداد ؛ كلية العلوم السياسية ؛ ٢٠٠٨.ص٤٤."غير منشورة ".

٤٥) احمد بوشرب؛ اسباب ومراحل اكتشاف البرتغاليين للسواحل الافريقية؛ مجلة المؤرخ العربي؛ العدد٣١؛ ١٩٨٧.ص١٦.

٤٦) محمد مظفر الادهمي؛ تاريخ اوربا الحديث؛ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي؛ بغداد ؛ ١٩٨٩.ص٣٦.

٤٧) محمد صفي الدين؛ افريقيا بين الدول الأوربية؛ دار مصر للطباعة؛ (بلا تاريخ) ص٧٣.

٤٨) فؤاد محمد الصقار؛ جغرافية التجارة الدولية؛ نشاة المعارف؛ الاسكندرية؛ ١٩٧٣.ص١٩.

٤٩) جمال علي طه ؛ مصدر سابق؛ ص٤٧.

٥٠) جودة حسنين جودة؛ جغرافية افريقية الإقليمية؛ منشاة المعارف؛ الإسكندرية؛ ١٩٨١.ص١٩.

٥١) سعد ناجي جواد؛ التطورات السياسية الحديثة في افريقيا؛ جامعة بغداد؛ ١٩٨٨.ص١٣.